

# الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر

## الجزء الأول

من الثورة العراقية إلى قيام الحرب العالمية الأولى

تأليف

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية

منزلة الطبع والنشر

مكتبة الآداب ومطبعتها بالجواميز ٢٢٧٧٧

الطبعة الأولى  
مكتبة الشاويش بالجمعية العلمية الجديدة



# الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر



## بسم الرحمن الرحيم

### مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين . وصلاته وسلامه دائماًين عاشرين على رسوله الأمين ،  
الذى هدانا الله به وأحيانا ، ولولا فضل الله ورحمته لسكننا من الضالين المهالكين .  
وبعد فهذه هي الطبعة الثانية من كتاب (الاتجاهات الوطنية) في جزئه الأول  
أدخلت عليها بعض التعديل في الفصل الأخير ، نزعات إصلاحية . . ولم يك  
يطرأ عليها بعد ذلك شيء يذكر في بقية فصول هذا الجزء . لإقليلاً . ويستطيع  
القارئ أن يلمس مواضع التعديل بالمقارنة بين ذلك الفصل كما جاء في هذه  
الطبعة ، وبين ملخصه كما يبدو في مقدمة الطبعة الأولى ، التي أبقيتها كما هي دون  
تعديل . ولم يكن من هذا التعديل بدّ بعد أن بدا التناقض واضحاً بين ما جاء  
في هذا الفصل وبين ما كتبه بعد ذلك بسنتين في الفصلين الثالث والرابع من  
الجزء الثاني لهذا الكتاب ؛ ولا سيما ما يتعلق منه بمحمد عبده وحركته . وقد  
اجتمعت لي منه مادة صالحة لا يتسع لها هذا الكتاب أرجو أن يتاح لي نشرها  
فيما بعد . وهي تكشف عن جوانب أغفلها الذين كتبوا عنه وأرخوا له .

وقد كنت أحب أن أنجز في هذه الطبعة للجزء الأول ما وعدت به في تقديم  
الجزء الثاني من تعميم هذه الاتجاهات لكي تشمل العالم العربي كله — وظروفه  
في تقديرى متسابة في خطوطها الكبيرة ، يصدق في كل قطر من أقطاره ما صح  
في مصر . فكلها قد مر في فترة التعاق بفكرة الجامعة الإسلامية ، حين كانت  
جميعاً جزءاً من دولة إسلامية كبرى تعتبر امتداداً للخلافة الإسلامية وهي  
الدولة العثمانية . وكلها قد ظهر فيها صراع بين هذه النزعة الإسلامية النليدة  
الموروثة وبين النزعات القومية الطارئة ، التي بدأت طلائعها تظهر واضحة في سائر  
البلاد العربية منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجرى . وكلها قد مر بفترة صراع  
بين النزعات الإقليمية وبين النزعة العربية التي ترد العرب إلى الوحدة الأصيلة

بعد الفرة الطارئة . وكلها قد دارت فيه معارك حول تصوير العروبة : هل هي امتداد للإسلامية السابقة ؟ أم هي صورة من القوميات الغربية اللادينية ؟ وكلها قد شغل بالبحث والمناقشة حول أمثل الطرق والأساليب للنهوض ولاستعادة القوة والتخلص من أسباب الضعف وآثاره . ولم يكد الخلاف فيها جميعاً يخرج عن اتجاهات ثلاثة : اتجاه يدعو إلى العودة لينابيع الإسلام الأولى ؛ واتجاه آخر يدعو لاحتذاء الغرب وتتبع خطاه ؛ واتجاه ثالث يدعو إلى إسلامية متطورة يفسر فيها الإسلام تفسيراً يطابق الحضارة الغربية ، ويبرر أنماطها وتقاليدها . وكلها قد شغل بمصير الخلافة الإسلامية وواجب المسلمين إزاء إلغاء الحركة الكالاية للخلافة الإسلامية في تركيا وكلها قد دارت فيها معارك فكرية وأدبية بين المتمسكين بالتقاليد الإسلامية والعربية وبين الداعين إلى الحضارة الأوروبية والمفتونين بأساليبها وأنماطها .

كنت أحب أن أنجز وعدى ذاك ، فأعمم هذه الاتجاهات التي تحدثت عنها في هذا الكتاب بجزئية ولكن ظروفى الراهنة لم تسمح به . فأرجو المخذرة . ولعللى أفى بهذا الوعد فيما بعد ، أو لعللى غيرى ينهض به . وقد نهض صديق الدكتور ماهر حسن فهمى بشطر منه حين أصدر كتابه ( القومية العربية والشعر المعاصر ) فى سلسلة « مع العرب » ، التى تصدرها مؤسسة المطبوعات الحديثة ، بالقدر الذى سمح به حجم الكتاب وطبيعته . وقد تفضل مشكوراً بتصحيح تجارب هذا الجزء لبعدى عن مصر أثناء طلبه .

والله سبحانه وتعالى هو المستعان . له الحمد فى الأولى والآخرة . ولا حول

ولا قوة إلا به .

محمد محمد حسين

بنغازى فى صباح السبت ١٢ من رمضان المبارك ١٣٨١

( ١٧ / ٢ / ١٩٦٢ م )

# بسم الرحمن الرحيم

## مقدمة الطبعة الأولى

كان اتجأهى أول الأمر إلى أن أكتب عن الوطنية في شعر شوقي . ولما اجتمعت لي مادة البحث ، رأيت أن الذين كتبوا عن هذا الشاعر قد ظلوه ظلاماً بينا في وطنيته . ونظرت فإذا شوقي ليس وحده هو الذي مدح السلطان عبد الحميد ، فقد كان ذلك اتجاه شعراء العصر جميعاً . ونظرت فإذا شوقي لم يكن وحده الموالي لتركيا ، فقد كانت مغاضبة تركيا وقتذاك لا تغني إلا موالاة أعدائهم وأعداء مصر الإنجليز . ونظرت فإذا الرجل لم يكن وحده هو الذي مدح عباساً — وإن تكن صناعته ووظيفته قد اقتضته ذلك — فقد كان عباس في الفترة الأولى من حياته موضع مدح كل الشعراء ، بل وموضع حب المصريين جميعاً وآمالهم .

ورجعت إلى كتابات العصر وصحفه وتاريخه ، فإذا كل ذلك يوحى بأن وطنية هذه الفترة لم تكن هي وطنيتنا ، وأن قيمها لم تكن هي قيمنا ، وأن تفكيرها لم يكن هو تفكيرنا . فالحط في الحكم يرجع في معظمه إلى تغير مفهوم (الوطنية) على مر الأيام . فالذين يدرسون أدب الصحراء والفطرة في الجاهلية ، لا ينصفون إذا وزنوه بموازين الحضارة والمدنية في القرن العشرين . والذين يدرسون شعراء ما قبل الإسلام بظلمون إذا وزنوه بموازين الإسلام . والجيل الذي يولد في هذه الأيام يخطئ إذا درس آداب آبائه بعد عشرين عاماً أو ثلاثين لحكم على الذين يجدوا (الملكية) بالخيانة . وكذلك كان شأن الدارسين مع شوقي . لأموه لميوله التركية حين كانت الرابطة العثمانية حديث كل الأمم الإسلامية . وغضوا من قدره لأنه كان رجل القصر حين كان عباس ساكن القصر موضع أمل الوطنيين من المصريين وقوتهم في مقاومة الاحتلال في شطر من حياته .

وعند ذلك خطر لي أن لا أقصر تاريخ الوطنية على شوقي ، وأن أؤرخ للاتجاهات الوطنية في الشعر العربي في مصر جملة ، ورأيت أن مثل هذا البحث

(ح)

قد يصحح كثيراً من الأحكام السابقة العاجلة ، وقد يعين على وضع مقاييس صحيحة للقيم الوطنية وتطورها . فليس من الانصاف أن يحاسب الناس على أسس مباينة كل المباينة أو بعض المباينة لأسس العصر الذي عاشوا فيه وعبروا عن قيمه واتجاهاته . وليس من البحث العلمي أن يدرس الشاعر منفصلاً عن بيئته التي استمد منها تجاربه . ومن هذا يبدو أن البحث في لبه يستهدف تصحيح القيم الوطنية والقيم النقدية في دراسة الشعراء المعاصرين .

وقد تبين لي من بعد أن الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ - ١١٩ ) كانت حداً فاصلاً بين عصرين متباينين في فهم مدلول (الوطنية) . ولذلك رأيت أن أقسم بحثي عن (الاتجاهات الوطنية في الشعر المعاصر) إلى قسمين ، ينتهي أولهما إلى قيام الحرب العالمية الأولى ، وهو موضوع بحث هذا الكتاب الذي أقدمه بين يدي القراء . وقد قسمت البحث إلى خمسة فصول .

تكلمت في الفصل الأول عن ( الجامعة الاسلامية ) فبينت أنها كانت هي النزعة الغالبة على تفكير العصر ، حين لم تكن الفكرة القومية بمعناها الحديث قد سيطرت على الأذهان ، وحين كانت العاطفة الدينية هي المسيطرة على القلوب والأفهام ، وحين كانت الظروف التي تسود العصر توحى بأن الخصومة بين الشرق والغرب هي خصومة بين الاسلام والمسيحية ، أو هي استمرار للحروب الصليبية كما تصور بعض زعماء الوطنية وكتابها . وكان يعين على تدعيم هذا التصور ما يدور من حروب بين تركيا من ناحية وبين الدول الأوروبية الطامعة في اقتسام أملاكها من ناحية أخرى . هذه تنادى بتحرير الشعوب الأوروبية في جنوب أوروبا من وحشية المسلمين ، وتلك تنادى بتناسك الشعوب الاسلامية واتحادها أمام الجشع الأوروبي . كما أعان عليه مهاجمة كثير من ساسة الغرب وكتابهم للإسلام والمسلمين ، وتصويرهم في صورة الهمج المتخلفين ، ورد تخلفهم هذا إلى جمود الاسلام الذي لا يصلح في زعمهم لأن يكون شريعة أمة متمدنية راقية ، وأعان عليه كذلك ما كانت تبذله إنجلترا من جهود دائبة للقضاء على تركيا ، بتشجيع كل مناوى لها وخارج عليها ومذيع لمساوئها ومصور لفساد الحكم فيها .



وبينت في هذا الفصل أن موالاة تركيا والإشادة بها ومدح الفخراء للسلطان عبد الحميد لم يكن في حقيقة أمره إلا تمسكا بخليفة المسلمين الذي يلي أمرهم ويجمع شملهم، وأن الخروج عليه ومهاجمته لم يكن يعنى في أفهام كثرة المعاصرين إلا موالاة المستعمرين أعداء المسلمين . وتبعت ذلك في مختلف المناسبات والأحداث ، مثل الحركة العربية التي كان يظن أن لإنجلترا هي التي تثيرها ، مستعينة بها على قتل الخلافة الإسلامية التي كانت تريد أن تنقلها إلى أمير عربي تضعه تحت حمايتها ، فتتسلط عن طريقه على الرأي الإسلامي العام . ومثل حرب اليونان سنة ١٨٩٧ . والدستور العثماني ١٩٠٨ ، وسقوط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ ، وحرب طرابلس سنة ١٩١١ . وحرب البلقان وسقوط أدرنة سنة ١٩١٢ . وقدم طيارين تركيين إلى مصر سنة ١٩١٤ .

ثم بينت آخر الأمر أن المنادين بالجامعة الإسلامية لم يكونوا جميعاً من المؤيدين للنفوذ التركي في مصر . وأن كثرتهم كانت مدفوعة إلى ذلك بعاطفتها الدينية ، وأن بعضهم كان يتخذ ذلك وسيلة لمناوأة الاستعمار الإنجليزي ، وهو يرى بعد ذلك أن التخلص من النفوذ التركي سهل ميسور .

وتكلمت في الفصل الثاني عن ( الجامعة المصرية ) ، فتبعت تطور القومية المصرية التي كانت فكرة ناشئة في ذلك الحين ، انتقلت إلى مصر مع ما انتقل إليها من الأفكار الغربية . فكانت صدى للاتجاه العام نحو تبلور القوميات في القرن التاسع عشر . وقد رددت بذور هذا الاتجاه نحو الجامعة المصرية إلى الثورة العربية ، التي كانت تعبيراً عن شعور المصريين بالاضطهاد لإزاء عنصر غريب عنهم هو العنصر الجرسي . ورأيت أن فكرة الوطنية في ذلك الوقت مختلفة بعض الاختلاف عما نعيشه منها اليوم ، وأنها كانت مختلطة بالفكرة الإسلامية ، لاتدعو إلى الانفصال عن تركيا . وإن كانت تدعو إلى مقاومة استبداد العنصر الجرسي والنفوذ الأوروبي . وقلت إن هذه الحركة كانت تستهدف إنشاء رابطة عاطفية بين المصري ووطنه ، تحفزه إلى الاهتمام بأمره والعمل على رفعة ، وأداء واجبه

نحوه من جهة ، والمطالبة بحقه فيه من جهة أخرى . ثم تطورت الفكرة القومية على أيدي أصحاب الثقافات الأوروبية ، وبدأت تهاجم الرابطة الدينية وتعتبرها مصدر شر وتفرقة بين أبناء الجنس الواحد . فدعا هذا الفهم الجديد للوطنية إلى أن يهاجمها المتمسكون بالرابطة الدينية ويعتبروها خطراً يهدد وحدة الأقطار الإسلامية ويضعف تكتلها أمام الدول الأوروبية الطامعة في استعمارها .

ثم خفت صوت القومية وركدت الدعوة إليها زمناً بعد فشل الثورة العربية ، حتى انبعثت من جديد في مختتم القرن التاسع عشر ، متأثرة بفكرة القوميات الأوروبية ، واتخذت شكلين متباينين ، أحدهما يتحدث عن الوطنية حديثاً عاطفياً ، ويتغنى بها كما يتغنى العاشق بمعشوقته ، محاولاً أن يغزو قلوب المصريين بهذا الحب الجديد . والآخر يتحدث عن الوطن حديث العقل والمصلحة ، ولا يستهدف إثارة الناس ولكنه يحاول إقناعهم ، ولا يتغنى بالوطن المحبوب ولكنه يتحدث عن النفع المادى والمصلحة المشتركة التى تجمع بين ساكنيه . وكان الفريق الأول ممثلاً فى مصطفى كامل وهو يدعو إلى جامعة مصرية إسلامية ، ولا ينكر الرابطة العثمانية ، ولكنه يتخذها وسيلة لمناوأة الانجليز . وكان الفريق الثانى ممثلاً فى لطفى السيد كاتب حزب الأمة الأول . وهو يدعو إلى جامعة مصرية خالصة ، ولا يعترف بالرابطة العثمانية لأنها لون من ألوان الاستعمار ، كما أنه لا يعترف بالجامعة الإسلامية لأنها وهم لا سبيل إلى تحقيقه من الناحية العملية . وبينت أن الدعوة الأولى كانت أقرب إلى القلوب ، وأن كثرة الناس قد آزرتها والتفت حولها ، وأن انصراف الناس عن الدعوة الثانية كان يرجع إلى أن دعائها كانوا من كبار الملاك الذين لا يعنون إلا مصالحهم الخاصة حين يتحدثون عن النفع المادى والمصالح المشتركة ، وإلى أنهم قد انصرفوا إلى الكلام عن الإصلاح ولم يهاجموا الاستعمار الذى كانوا يوادونه حرصاً على مصالحهم .

وختمت هذا الفصل بالإشارة إلى ما صحب هذه الحركة المصرية من اتجاه تاريخى فى الشعر نحو إحياء المجد الفرعونى والمجد العربى ، الذين يمثلان النزعتين

## ( ك )

السابقتين : القومية المصرية والقومية الاسلامية واتخاذ ذلك وسيلة إلى استنهاض  
الهمم ، وبعث الأمل ، ومحاربة اليأس . ورد الثقة إلى الناس الذين تمكن منهم سوء  
الظن بأنفسهم حتى قتل فيهم روح الأمل والطموح .

وتكلمت في الفصل الثالث عن ( محنة الجامعة المصرية ) التي بدت في المؤتمر  
القبلي سنة ١٩١٠ والمؤتمر المصري سنة ١٩١١ . وبينت أن الأزمة ترجع في  
جوهرها إلى سوء ظن كل من الفريقين بصاحبه ، وإلى عدم توافر الثقة بين  
العنصرين اللذين يكونان الجامعة المصرية ، وإلى الجهل الذي يقود إلى عصبية  
عمياء لا تقوم على أساس من منطق أو دين ، وإلى التقاليد الفاسدة التي دعت  
القبط إلى أن ينطخوا على أنفسهم ويقصروا اهتمامهم على مشاكلهم حتى انتهى بهم  
الامر إلى أن تتحدث صحفهم عنهم وكأنهم أمة مستقلة لها كيان منفصل عن مصر .  
وهاجت الفتنة فبرزت عارية ، بعد قتل بطرس غالي رئيس الوزراء القبلي سنة  
١٩١٠ . واعتبر القبط أن عنصرهم هو المقصود بالاعتداء . ودافع الفريق الآخر  
عن نفسه بأن الرجل لم يستحق القتل إلا بوصفه مصرياً خان وطنه وأعان عليه  
المستعمرين ، وبلغت الخصومة قمتها حين تم انعقاد المؤتمر القبلي في أسيوط  
هـ مارس سنة ١٩١٠ ، مطالباً ببعض المطالب التي كانت موضوع نقاش عنيف  
حادثي الصحف ، مما دعا إلى عقد مؤتمر مصري تم انعقاده في ٢٩ إبريل سنة ١٩١١ ،  
رد على مطالب المؤتمر القبلي التي لا تقوم على أساس من المواطنة المصرية ،  
ولكنها تقوم على أساس الدين وحده .

ثم تكلمت عما استتبعته هذه الخصومة العنيفة من محاولات صادقة للتوفيق  
بين عنصرى الأمة وتصفية ما بين جيران الوطن من سوء الظن . وانتهيت إلى أن  
هذا الشقاق كان محنة امتحنت بها الدعوة الناشئة إلى الجامعة المصرية ، وأنه وإن  
كان قلة الخلاف بين عنصرى الأمة فقد مهد في الوقت نفسه للوحدة القومية  
المصرية التي بدت في أقوى مظاهرها في ثورة سنة ١٩١٩ .

وتكلمت في الفصل الرابع عن ( تيارات سياسية ) كانت تتنازع الناس في

هذا العصر . وجعلت الثورة العرابية هي نقطة البداية في اهتمام الناس بالمسائل السياسية . فقد كثرت فيها حديثهم عن الظلم والظالمين . وعن حقهم في محاسبة السلطان ، وعن الدعوة إلى النظام النيابي وإلى العدالة الاجتماعية وإلى الحد من تغلغل النفوذ الأجنبي . وظهرت فيها آراء جريئة تدعو إلى التخلص من النظام الملكي مفضلة عليه النظام الجمهوري .

ثم تكلمت عن نشأة الصحافة الوطنية بعد ما كان من ركود الحركة حينما واستكانة الناس للهيمنة . فظهرت صحيفة المؤيد سنة ١٨٨٩ ، ثم صحيفة الأستاذ سنة ١٨٩٢ . وبيئت أن ظهور الحركة الوطنية الحديثة بعد الاستعمار الإنجليزي قد اقترن بحكم عباس . فتكلمت عن وطنيته في أول حكمه ، مما جمع قلوب المصريين حوله . وما كان من تأييده لقادة الحركة الوطنية وعدائه للإنجليز ، مما أدى إلى اصطدامه بكرور . ثم تكلمت عما كان من تراجمه أمام الإنجليز ، وعدم صبره للكفاح ، وانصرافه إلى تنمية ثروته من كل طريق ، واستمرصت سياسته المضطربة المتقلبة التي أدت إلى انصراف الشعب عنه ، بعد أن ساد الوفاق بينه وبين الإنجليز ، حين أرضى جورست — خليفة كرومر — جوعه إلى السلطة وإلى المال .

وبذلك استنفذت الحركة الوطنية جهدها في مهاجمة عباس ، واستراح الإنجليز من اجتماع الشعب والحدوي على حربهم . وقدمت صوراً من شعر الشعراء الذين كانوا يمدحون عباساً في أول حكمه ، فانصرفوا عن ذلك إلى نقد سياسته ، منهم من يعنف في ذلك حتى يبلغ حد الهجاء الذي يعرضه للسجن . ومنهم من يرفق في ذلك فلا يتجاوز العتاب الهين الرقيق .

ثم تكلمت عن السلطينتين اللتين كانتا تتنازعا ن نصريف الشؤون في ذلك الوقت سلطة الاستعمار وسلطة الحدوي ، أو السلطة الفعلية والسلطة النزعية ، كما كانت تسميهما الصحف في ذلك الحين ، وعن انقسام الصحف بين مؤيد لعباس ومؤيد لكرومر . وتكلمت عن سعي الاستعمار لخلق بطانة له من المصريين ، تحقيقاً

لسياسته التي رسمها لنفسه منذ الاحتلال في أن لا يحكم بطريق مباشر ، وفي أن ينفذ إرادته بأيد مصرية يقع عليها وزر أعمالها أمام الرأي العام ، فتواجه ثورته ، وبذلك يقع بأس المصريين بينهم ويستنفدون جهدهم في هذه الخصومة .

ثم بينت أن المصريين كانوا موزعين بين النفوذ التركي والنفوذ الفرنسي والنفوذ الإنجليزي والقصر . منهم من يلتمس العون على الاستعمار عند الخليفة التركي حامى المسلمين ، ومنهم من يلتمس عند الفرنسيين المنافسين للاستعمار الإنجليزي . ومنهم من يحرص على وحدة الصفوف ويشفق من انشقاق المصريين فهو يدعو إلى الانقياد حول القصر . ومنهم من يؤثر العاجلة ويعيش في حاضره ولا يطمح إلى خير منه فهو يهادن الإنجليز ولا يطمح في أكثر من دعوتهم إلى الإصلاح . ومنهم من يتعلق بسيد من هؤلاء السادة لأنه باع نفسه له فهو يؤيده بالحق وبالباطل .

ثم تسكمت عن تأسيس الأحزاب السياسية في سنة ١٩٠٧ : الحزب الوطني ومن ورائه السكثرة المثقفة من الشباب ، وهو عنيف في خصومته الاستعمار . بدأ عهده مؤيدا لعباس وانتهى إلى مخاصمته ، واسكنه لم يهاجم الخلافة العثمانية في الحالين وحزب الأمة ومن ورائه أعيان مصر وكبار الملاك فيها ، وهو يهادن الإنجليز ولا يتجاوز جهده الدعوة إلى الإصلاح . وهو يرى أن ذلك هو الطريق الطبيعي إلى الاستقلال . وحزب الإصلاح وهو حزب قليل الانتصار يدعو إلى عباس ، فهو لسانه المعبر عن ميوله واتجاهاته . وحزب كان يسمى نفسه بالحزب الوطني الحر ، وما هو بوطنى وما هو بمرى ؛ فهو دخيل باع نفسه للمحتلين ، ويتمثل في صحيفة المقطم . وعرضت لما آل إليه أمر هذه الأحزاب من تطرف في الخصومة وإسراف في الاتهام ضاق به المصلحون ، فارتفعت صيحاتهم منكرا هذه الممارات ، داعية إلى الاتحاد وجمع الصفوف .

وتسكمت في الفصل الأخير عن ( نزعات إصلاحية ) لازمت هذا التطور الفكرى والسياسى . وكان دعائها خائطا من المشتغلين بالسياسة ، ومن كرهوا أن

يرجوا بأنفسهم في هذا المعترك العنيف وآثروا أن يسلكوا طريقاً لا يعرضهم لذهنب الساطان . وكان بهضر هؤلاء ينظر إلى عال المهربين الخلقية والاجتماعية ، يحاول أن ينبه إياها ويرسم الطريق إلى معالجتها ، مستوحياً في ذلك الحضارة الغربية وأساليبها ونظمها . وكان فريق آخر ينبه إلى عيوب الأمم الإسلامية وسوء فهمهم للإسلام محاولاً أن يقيم الإصلاح على أساس ديني . ثم بينت أن التفكير الأوروبي قد تجلّى في دعوات كثيرة ، برزت من بينها ثلاث دعوات كبيرة ، شغلت الرأي العام في مستهل القرن العشرين ؛ وهى : الدعوة إلى الحرية الشخصية وإلى الحياة النيابية ، والدعوة إلى فصل السطة الدينية عن السطة المدنية وتحرير المفكرين من سطة رجال الدين ، والدعوة إلى تحرير المرأة من الجهل والحجاب وتمكينها من المشاركة فى الحياة . وبينت أن الدعوتين الأوليين كانتا متأثرتين إلى حد بعيد بما شاع فى الحكم العثمانى الفاسد من ظلم ومن استغلال لنفوذ رجال الدين .

ثم تكلمت عن حركة الإصلاح الإسلامى التى تزعمها محمد عبده ، وتابعه فيها بعض تلاميذه ومعاصريه . وقسمت جهوده فيها إلى قسمين ، اتجه فى أولها - أيام اتصاله بالأفغانى - إلى محاربة ما استولى على المسلمين من ضعف الهمم وفتور العزائم والانصراف عن جهاد الاحتلال . واتجه فى الشطر الثانى إلى التوفيق بين الدين وبين المدنية الحديثة ، وإلى الرد على ما كان يوجه إلى الاسلام من شبهات ، وإلى تقريبه من نفوس الشباب الذين نفروا منه ، متوهمين أن الجمع بينه وبين المدنية والعلم غير مستطاع . وكان من أهم ما اتخذته لذلك من وسائل مشاريعه فى إصلاح الأزهر ، وفتاويه التى كان يجيب بها على السائلين من مختلف الأقطار الإسلامية ، ودروسه التى كان يحضرها عدد كبير من المثقفين والوجهاء .

ثم بينت أثر تجاوز هذين التيارين فى انقسام المفكرين والناس فى مختلف نواحي الحياة إلى مجددين ومحافظين ، مما جر إلى احتدام الخصومة بين المتطرفين من الفريقين . فكان الفريق الأول يهتم الفريق الآخر بالجهل

( ص )

والتخلف والجود. وكان الفريق الثانى يهتم الفريق الأول بالخروج على تقاليد الإسلام ، وربما ذهب فى ذلك إلى اتهام أصحابه بالكفر وبأنهم أذئاب المستعمر وأعوانه ، يساعدونه عن قصد أو عن غير قصد ، بتحبيب الناس فيه بدلا من تنفيرهم منه . وقد نشأ عن تجاوز هذين التيارين تناقض فى الحياة المصرية ، التى جمعت بين المحافظة المتزمتة ، وبين التطرف فى الأخذ بأساليب المدنية الغربية ، فى البيت الواحد فى بعض الأحيان ، بما وضع أثره فى شاعر كشوقي ، تجاوز فى شعره وصف المراتص والخمر ، مع مدائح الرسول وتمجيد الاسلام .

وانتهت إلى أن هذه الصيحات المتباينة المتنافرة ، التى كانت تأخذ الناس من كل الجهات ، قد ساعدت على تنبيه الوعي القومى وإيضاح التفكير ، فكانت أشبه شىء بالفوضى التى تمهد للنظام ، وبالسديم الذى ينكشف عن الأجرام ، وبالشك الذى يلد اليقين .

ولم يكن يعنى فى هذه الفصول أن أستقصى الأحداث ، وأن ألم بالتفاصيل . لكن عنايتى قد انصرفت إلى توضيح الخطوط الرئيسية ، والاتجاهات العامة ، والتيارات الأساسية ، التى ظهرت فى هذه الفترة وسيطرت عليها ، مستنبطا ذلك من النصوص الشعرية والنثرية ، مع مطابقتها بالأحداث التاريخية . وأرجو أن أكون قد عاونت بذلك على تصحيح بعض المعايير النقدية ، وتوضيح ما يكتنفها من لبس أو غموض .

ولا يفوتنى فى ختام هذا التقديم أن أشكر السيد ماهر حسن فهمى لما قدم لى من عون فى تاريخ كثير من قصائد شوقي بالرجوع إلى تاريخ نشرها فى الدوريات ، وفى إعداد فهرس هذا الكتاب .

وعلى الله التوكل والاعتماد ، ومنه العون والتوفيق والسداد .

محمد محمد حسين

رمل الاسكندرية } ٢٩ شعبان سنة ١٣٧٢  
٢ مايو سنة ١٩٥٤